

الوسائل الوقائية والعلاجية للتوافق الزوجي

في الأسرة المسلمة

التساؤل التاسع:

ما أهم الطرق والوسائل الوقائية والعلاجية للتوافق
الزوجي في الأسرة المسلمة؟

أولاً: الطرق والوسائل الوقائية:

١. استحضار النية للزواج
٢. حسن اختيار شريك الحياة
- معايير اختيار شريك الحياة
- صفات الزوجة الصالحة
٣. أن يكون المقبل على الزواج سعيداً في نفسه
٤. قداسة الروابط بين أفراد الأسرة
٥. الالتزام بالقيم الأخلاقية

ثانياً: الطرق والوسائل العلاجية بعد الزواج:

١. الالتزام بأداب الأسرة الإسلامية
٢. التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب
٣. الدعاء وسؤال الله التوفيق والسداد

الوسائل الوقائية والعلاجية للتوافق الزوجي في الأسرة المسلمة

التساؤل التاسع:

ما أهم الطرق والوسائل الوقائية والعلاجية للتوافق الزوجي في الأسرة المسلمة؟

لقد عبر الإسلام عن التوافق الزوجي بتعابير كثيرة منها السعادة، والسكن فهما أساس تحقق التوافق الزوجي في أي أسرة مسلمة، الذي يتحقق عن طريق عدد من الطرق والوسائل.

وتنقسم طرق ووسائل التوافق الزوجي إلى قسمين: طرق ووسائل وقائية قبل الزواج - وعلاجية بعد الزواج.

أولاً: الطرق والوسائل الوقائية:

١. استحضار النية للزواج:

إن النية الطيبة هي شرط قبول العمل ونجاحه لقول تعالى: ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرَّتْ لَكُمْ فَأَتُوا حُرَّتَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدَّمُوا أَنفُسَكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَيَسِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة ٢٢٣] ومعنى التقديم للنفس هنا: التقرب إلى الله بمباشرة لزوجته وجمعها على وجه التقرب والاحتراب، وعلى رجاء تحصيل الذرية، الذين ينفعه الله بهم. فالزواج من أهم الأعمال التي يجب أن يسبقها نية أكيدة لتحقيق الأهداف الإسلامية للزواج وبناء الأسرة، والتي من أهمها: إحصان الرجل والمرأة، والتناسل والتكاثر.

٢. حسن اختيار شريك الحياة،

إن اختيار الشريك من أهم الأسس في بناء السعادة الأسرية، فهي تتوقف على حسن اختيار الشريك لكن التوفيق في حسن الاختيار ليس سهلاً. وتوافر الكفاءة للزواج أمراً يصعب اختياره لذلك من النهج الإسلامي أن يحاول المسلم السؤال والتفصي عنن يريد الزواج به، ثم يستشير من هم أهل خبرة، وذوى رأى ومشورة، ثم يستخير الله في جميع أموره، وخاصة في أمر زواجه، بالإضافة إلى هذه الأمور وضعت بعض المعايير للاختيار يجب أن يضعها الإنسان في اعتباره عند الاختيار، وهي كالتالى:

معايير اختيار شريك الحياة،

- ١ - الانسجام الروحي: وهو عملية سيكولوجية صرفة، ذلك أن الإنسان عندما يرى فتاة في أول الأمر إما أن يتقبلها في قلبه أو يرفضها، وذلك قبل أن يختبرها أو يعرف أخبارها. ولعل هذا ما قصده الرسول ﷺ من قوله: (الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف) [صحيح مسلم، ٤/٢٠٣١]. وقال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّغُونَ بِمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].
- ٢ - الاتفاق فى العقيدة: ويشمل الاتفاق فى العقيدة والقيم والاتجاهات والميول والأفكار الأساسية والنظرة إلى الحياة بوجه عام.
- ٣ - الاتفاق على نوع الحياة: ويشمل القيم والعقيدة، والجوانب المادية، أو الحسية من الحياة أو مظاهر الحياة بوجه عام.

ويدخل في نطاق ذلك التوافق الزوجي أو التكيف الجنسي . ومع أن الاتفاق على هذه النقطة من أصعب النقاط إلا أنه ينبغي أن يترك الأمر للصدفة؛ إذ من الممكن أن نستكشف بعض ملامح هذه الحقيقة أو ننهبأ بها إلى حد كبير ببعض الوسائل التي تساعد على عملية التكيف، والتوافق الزوجي.

ومن الوسائل ما يلي:

* مدى قوة دافع الجنس لدى الفتاة .

* التقارب في السن بين الزوج والزوجة .

* الإتفاق في قيمة موضوع الجنس وفي الاهتمام به أو عدمه .

* عدم اختيار الزوجة المريضة وخاصة إذا كان المرض مستعصياً .

٤ - معرفة كل من الطرفين للآخر معرفة جيدة؛ وهذا مهم جداً لأنه عندما يعرفها معرفة جيدة يستطيع أن يقرر مصير الحياة الزوجية إلى حد ما، فإذا قبلها مع ما فيها من صفات فمعنى ذلك أنه مستعد لتحملها . وهذا لا بد من التمييز بين الصفات الأساسية والصفات الثانوية؛ فالأولى لا بد منها لدوام الحياة الزوجية . والثانية هي الصفات التي يستحسن أن توجد والصفات التي يستحسن ألا توجد، وتطابق الحياة بوجودها مع الضيق أو مع شيء من التحمل والصبر . وهذه الصفات تختلف من شخص لآخر، مع وجود فاسم مشترك من الصفات المرغوبة بين الناس جميعاً .

صفات الزوجة الصالحة:

١ - أن تكون مسلمة .

٢ - أن تكون ذات دين وخلق .

٢ - أن لا تكون من القربيات المحرمات .

٤ - أن تكون عفيفة غير زانية .

٥ - أن لا تكون مخطوبة للغير .

٦ - أن تكون ولوداً غير عقيم .

٧ - أن تكون من أسرة غير أسرته أو من جنس غير جنسه: وقد كان معروفاً عند العرب قولهم: (اغتربوا لا تضووا) أى لا تهزلوا ولتصبحوا أقرباء، وجاء النبي ﷺ فأكد هذا المبدأ فى قوله: (يا بنى هاشم عليكم بنساء الأعاجم فالتمسوهن فإن فى أرحامهن بركة) (ابن قدامة، ج ٧، ٣٠).

٨ - أن تكون بكراً، فقد قال ﷺ: (عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنقى أرحاماً وأرضى بالنيسير) (البيهقى، السنن الكبرى، ٧/٢٨١؛ لأن ضعف الحقل يورث فمن أراد أن يكون ولده عاقلاً فليجنب الحمقاء .

٩ - أن لا تكون شديدة الغيرة؛ لأن الغيرة تدخل الشكوك إلى القلوب مما يعكر صفو الحياة ويزيل السعادة .

وبالنسبة للزوج فهو ينطبق عليه كل المعايير السابقة، إلا أنه يشترط له الصلاح، ومعايير الصلاح ليست المال، والجاه والحسب والنسب، وإنما هى الدين .

وقد حث رسول الله ﷺ على تزويج الصالح وتفضيله، وتخفيف المهور، والتيسير على المتزوجين . وتزويج المعسر ومساعدته لقوله تعالى:

﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢]، وحث ﷺ على تخفيف العهور وإثبات حق المرأة في الصداق لقوله تعالى: ﴿ وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ [النساء: ٤].

٢. أن يكون المقبل على الزواج سعيداً في نفسه،

إن لم يكن الإنسان سعيداً فأن يستطيع أن يسعد غيره؛ لذلك يجب أن يسعد الإنسان نفسه أولاً قبل أن يبدأ ببناء أسرته، ويدخل في العلاقات الزوجية. فالسعادة تدور ضمن دوائر حياة الفرد وشبكة علاقاته؛ حيث جعل الله سبحانه وتعالى هذه العلاقات تدور في الميادين التالية:

١ - ميدان النفس حيث يبدأ الإنسان التعامل مع نفسه بالعدل والإحسان بأن يضبطها ويزكيها بالأعمال الصالحات ويقومها ويمدنها بصونها وتجنّبها السيئات قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴾ (٧) فألهمها فجورها وتقواها (٨) قد أفلح من زكّاها (٩) وقد خاب من دساها ﴿ [الشمس: ٦ - ٩] وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعَرَّضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥]، وبذلك يحصل له التوافق الشخصي والنفسي، وتصل له السعادة النفسية.

٢ - ثم تأتي دائرة وميدان الأسرة حيث تسود الأسرة علاقة العدل

والإحسان، فعلى الوالدين أن يعدلوا بين أبنائهم، وعلى الرجل أن يعدل بين زوجته، ويحسن إلى كل منهن ليتحقق لهم السعادة والتوافق.

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِمَّا مَتَّيْتُمْ لَهُنَّ مِنْ أَمْوَالِكُمْ أَلَّا تَكُونَ لِلْيَتَامَىٰ الْمِيرَاثَ ۚ ﴾ [النساء: ٦].

٣ - ثم دائرة القربى ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۚ إِنَّكُمْ لَفِي ذَلِكُمْ لَمُنكَّرِينَ ﴾ [النساء: ٦]. وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٦١].

٤ - دائرة الأمة التي ينتمي إليها الفرد والجماعة قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَتَّقِيَ ۚ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات: ١٩].

٥ - أخيراً دائرة الإنسانية قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَعْمَالِكُمْ لَشَدِيدٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۚ ﴾ [النساء: ٦٤].

مؤثرة ومتأثرة؛ فنجد السعادة الفردية تؤثر في العلاقات الأسرية والعلاقات الأسرية تؤثر في سعادة الإنسان من جهة، وسعادة المجتمع وتوافقته من جهة أخرى.

إن السعادة لا تأتي بمجرد الرغبة فيها، ولا تأتي بمجرد اعتناق مبادئها، بل لابد من العمل الجاد والسير في طريقها وتحقيق شروطها:

الشرط الأول،

أن تكون نيات الإنسان وغايته جميعها خيرة في حياته كلها لقول الرسول ﷺ (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...) البخاري^١ ولتحقيق الإحساس بخيرية الحياة لابد أن يحس الإنسان بخيرية ذاته، ويحس بتحقيق الصحة الكاملة للجسم والعقل والنفوس والروح، وأن يعتدل في أعماله، وأن يراعى النظافة والطهارة في الظاهر والباطن.

الشرط الثاني،

أن يكف عن جميع الشرور والرذائل الأخلاقية وهو ما أسلفنا من تزكية النفس. ولهذا قال الرسول ﷺ محذراً من الرذائل والشرور: (البر لا يبلى والنخب لا ينسى والديان لا يموت فكن كما شئت فكما تدين ننان) الإمام أحمد ٢١٣٢/١.

الشرط الثالث،

فعل الخيرات بالنيات الخيرة: فالعمل الصالح مشروط بالنية وشرط قبول العمل هو النية الخالصة لله، واتباع سنة رسول الله ﷺ قال تعالى: ﴿مَنْ

عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنجزيه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴿ النحل: ٢٩٧ .

الشرط الرابع:

أن تكون أعمال المرء متفقة مع ما يعتقد، أو لا تعارضه على أقل تقدير؛ فتعارض حياة الإنسان العملية مع معتقداته يحصل له صراع نفسي لإحساسه بالذنب بسبب أنه لا يسير بما يعتقد. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢] .
وبذلك يحقق الإنسان لنفسه العدل والإحسان، والهدوء والاستقرار والتوافق، وإذا تحقق له ذلك استطاع من حلقات التواصل مع الآخرين نقل هذه السعادة والتوافق إليهم.

٤- قداسة الروابط بين أفراد الأسرة:

هذه هي الوسيلة الرابعة لتحقيق التوافق الأسري والزواجي، فهي الأساس لتكوين البيت المسلم؛ بأن يقدم الفرد على الزواج بروية متفائلة تنظر للزواج على أنه رباط روحي مقدس وتطبيق لمبدأ إسلامي ووصفه بالميثاق الغليظ في قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء: ٢١] . وكذلك ارتباط الأبناء بالآباء ارتباط ديني قائم على البر والإحسان والخصوع والتذلل لهما . ولانتفاء هذه القيمة المقدسة للرباط الزواجي، نجد كثرة حالات الطلاق، فقد وصل في بعض المجتمعات إلى ٦٠% و٧٠% .

٥. الالتزام بالقيم الأخلاقية،

فعلى المقدم على الزواج أن يطوع نفسه ويديرها على القيم والأخلاق الإسلامية القومية، لأن البيت كمؤسسة اجتماعية إذا لم تَمَّ على أساس أخلاقية فلن تقوم لها قائمة أبداً، فانهيار الأخلاق سبب في انهيار الأسر والمجتمعات، وسقوط الأمم.. فلا بد أن تبنى الأسرة المسلمة على الأخلاق والقيم الفاضلة في جميع جنبات حياتها، العاطفية، والاجتماعية، والاقتصادية. قال أحد الحكماء الفرنسيين عن أهمية الأخلاق في بناء الأسرة والرجال: (لو حدث مثلاً أن فقدت القواعد الأخلاقية المتصلة بالزوجية سلطتها، أو ضعف احترام الزوجين للتواجبات التي يلتزم بها كل منهما حيال الآخر لأقلت زمام الاتصالات والشهوات التي يحد منها وينظمها حالة من اليأس وخيبة الأمل، تتبدى في صرورة واضحة من إحصائيات الانتحار، وكذلك لو تزعزعت أركان الأخلاق التي تتحكم في الحياة الاقتصادية فإن العظام الاقتصادية لا تعرف حينئذ حداً تقف عنده وينشر الفساد بناء عليه).

كما جعل الرسول ﷺ من مقومات تحقيق السعادة والتوافق حسن الخلق مع الآخرين والرفق بهم وكان نموذجاً لحسن الخلق، منفذاً أمر ربه الذي حثه على الرفق واللين وحسن الخلق في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَبْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والإحسان مطلوب في الملعات قال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [هود: ١١٥]. والإحسان مطلوب حتى حين يفلت رباط الأسرة ويحدث الطلاق، قال تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فِأَمَّاكَ بِمَرْغُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

والإحسان مطلوب في الخصومات والخلافات قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

والإحسان مطلوب في معاملة الأيتام والضعفاء: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَخَذَهُ فَأُوفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

وعلاقة الوالدين بأولادهم عدل وإحسان، ويضاف إليها علاقة حب وعطف وإيثار، وعلاقة الأولاد بوالديهم علاقة تذل ورحمة وإكبار وإجلال وير قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَلْفُتُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣ - ٢٤].

وقد جسد الرسول ﷺ علاقة العدل والإحسان في قوله: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [البخارى، ج ١] (وعاملوا الناس بمثل ما تحبوا أن يعاملوكم به) ربط ﷺ العدل بالإيمان ونفى سياسة الكيل بميزانين عملاً بقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ

(٤) وَإِذَا كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ يُخْسِرُونَ ﴿١٠٣﴾ [المطففين : ١ - ٣]؛ فعلى المؤمن أن يكيل بميزان واحد لنفسه ولأخيه المسلم في جميع أموره وتعاملاته لكي لا يظلمه، ولا يحقره .

ولقد كان ﷺ نموذجاً لتحقيق هذه العلاقة بينه وبين أصحابه .. فقد ورد في السيرة «أن الرسول ﷺ عدل صفوف أصحابه يوم بدر، وفي يده قَدْح يعدل به القوم، فمر بسواد بن غزية وهو مستكمل من الصف فطحنه في بطنه بالقدح، وقال: اسنويا سواد فقال يارسول الله: أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل، قال: فأقْدنِي . فكشف رسول الله ﷺ بطنه، وقال: استقد، فاعتنقه فقبل بطنه؛ فقال: ما حملك على هذا ياسواد قال يارسول الله حضر ما ترى، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك . فدعا له رسول ﷺ بخير [ابن هشام، السيرة النبوية، ٦٢٦] .

وتحقق قاعدة العدل والإحسان والرفق في العلاقات الإنسانية، تتحقق للأسرة المشاعر الطبيعية التي فطر الله الناس عليها . وفي العلاقة الزوجية يضاف إلى العدل والإحسان مستوى أرفع من العلاقات السامية وهو المودة والرحمة فعلاقة الزوج بزوجته مودة ورحمة .

فكان ﷺ نموذجاً للرفق والرحمة في بيته، ومع أهله، ومع الأطفال والخدم .. تحكى السيدة عائشة رضی الله عنها رحمة بها ومراعاته لصغر سنها تقول: «كنت ألعب بالبنات - أى اللعب - عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله إذا دخل يقممعن منه فيسريهن فيلعبن معي، [البخاري، ٥٦٦٥] . وكانت عائشة رضی الله عنها توصي المسلمين بمراعاة ذلك مع أزواجهم حديثات السن تقول: رأيت النبي

يسترنى بردائه وأنا انظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذي
أسأم فاقدروا قدر الجارية العديلة السن الحريصة على اللهو [البخارى،
٤٨٣٥].

وكان ﷺ رحيماً بأطفاله وأطفال المسلمين فعن أسامة بن زيد قال كان
رسول الله ﷺ يأخذنى فيقعدنى على فخذه ويقعد الحسن بن على على فخذه
الأخر ثم يضمهما ثم يقول: «اللهم ارحمهما فإنى ارحمهما» [البخارى، ج ١،
٦٠٠٣]. وقال ﷺ: (بنى لأقوم فى الصلاة أريد أن أطول فيها. فأسمع بكاء
الصبي فأتجز فى صلاتى كراهية أن أشق على أمه) [البخارى، ٧٠٧].

كما وضع الرسول ﷺ عوامل لاستقرار الأسرة لتميش أمنة مطمئنة
مستقرة، وليضمن تحقيق استمراريتهما فيما يلى:

١- قرر الحقوق والواجبات لكل فرد من أفراد الأسرة منها:

- حقوق الوالدين، قال تعالى: ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا
وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

- حقوق الأولاد، قال تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ
كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْمِ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ وِزْرًا وَإِسْمُهَا لَا يُضَارُّ وَالِدُهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ
مِثْلُ ذَلِكَ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوُّهَا النَّاسُ
وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا

يَوْمَ رُونَ ﴿ التحريم: ١٦. وقال الرسول ﷺ (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم، فإن أولادكم هدية إليكم) [رواه ابن ماجه].

- وبحقوق الأخوة فيما بينهم، قال ﷺ: (حق كبير الأخوة على صغيرهم، كحق الوالد على ولده) [رواه البيهقي والطبراني] وقال (بر أمك وأباك، وأخفك وأخاك، ثم أدناك أدناك) [رواه البيهقي].

- وبحقوق الزوجين هي حقوق متبادلة أيضاً تسودها الأمانة والثقة، والأدب والطاعة، وقال تعالى: ﴿عاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فغسئ ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾ [النساء: ١٩]. وقال الرسول ﷺ (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي) [رواه الطبراني] وقال ﷺ: (خير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك، وإذا أمرتها أطاعتك، وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها ومالها) [رواه الطبراني].

٢ - عمد الرسول ﷺ إلى ترسيخ الوفاق في جو الأسرة لما يتركه الشقاق من آثار سلبية على الأطفال وأفراد الأسرة.. لذلك حث الرسول ﷺ على الرفق ولين الجانب في القول والفعل؛ حيث قال: (إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه) [مسلم، ٢٥٩٤] فهو طريق موصل إلى الجنة، ودليل على كمال الإيمان وحسن الإسلام.

وكان يحث السيدة عائشة على الرفق فقال: (يا عائشة أرفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق) وفي رواية: (إذا أراد الله بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق) [أحمد في المسند ١٠٤/٦] فالرفق ينمي روح المحبة والتعاون بين الناس، ويثمر محبة الله ومحبة الناس.

كما حذر السيدة عائشة رضی الله عنها من العنف فقالت لها: (مهلاً يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش...) (البخاري، ج ١٠، ٦٠١٣) فالرفق دليل على صلاح العبد ورحمن خلقه، والطريق لإنشاء مجتمع سالم من الغل والعنف.

قال سفيان الثوري لأصحابه: (تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في مواضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والوسط في موضعه. وهذه إشارة إلى أنه لا بد من مزج الغلظة باللين والقساظة بالرفق).

وكان ﷺ يدعو على من يشق على الناس أو يضيق عليهم حيث قال ﷺ: (اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فشق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به) (مسلم، ١١٨٢٨).

كما كان الرسول ﷺ نموذجاً في تحقيق المنهج الرياني في الخلافات الزوجية الذي ورد في القرآن قال تعالى: ﴿وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً﴾ (النساء: ٣٤).

كان ﷺ من أكثر الرجال صبراً على نساءه وكان أنطفتهم وأحسنهم خلقاً في احتمال الأذى منهن والحلم عند غضبهن فقد قال أنس بن مالك (كان رسول الله ﷺ لأرحم الناس بالنساء...) ورواه مسلم وكان يتقبل برحابة صدر هجران زوجاته فقد كانت الواحدة منهن تهجره يوماً إلى الليل لكن لا تزيد، وكان يتقبل تدللهن عليه بحلم وصبر وكرم. وحدث مرة خلاف بين رسول الله ﷺ وأم المؤمنين عائشة رضی الله عنها فتدخل والدها أبو

بكر رضى الله عنه حكماً فقال لها رسول الله: تكلمين أو أنتكلم؟ قالت: بل تكلم أنت ولا تفل إلا حقاً. فلطمها أبو بكر، وقال لها غاضباً: يا عدوة نفسها أو يقول رسول الله غير الحق؟ فاستجارت عائشة برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فحماها، وقال لأبي بكر معاتباً بصبر عظيم وتسامح أعظم: لم ندعك لهذا ولا أرينا منك هذا!

فحري بأولياء الأمور والآباء والأمهات وكل من له ولاية على أسرة أن يقتدى بسيرة الرسول ﷺ، ويتوخى الرفق في كل أمره ومعاملته مع زوجاته وأسرته والتزام جميع أمره.

ثانياً: الطرق والوسائل العلاجية بعد الزواج:

١. الالتزام بأداب الأسرة الإسلامية:

لقد أدب الإسلام كلا من الرجل والمرأة في نطاق الزوجية، ليبقى ظل الأسرة بارداً كريماً عليهما وليبقى حماها مصوناً وبيئاتها غير منهار وهذه الآداب تتلخص فيما يلي:

- على الزوجين أن يتشاورا ويتراضيا في أمور أطفالهما رضاعة وحصانة ونأديباً.

- على الزوج ألا يتيح الفرص لاسرته لمجالسة غير المحارم من أهلها وأهله منعاً للفتنة.

- بل ذهب الإسلام أبعد من ذلك فوضع سياجاً بين الزوجين في فترات الاخلاء ونزع الرداء وبين الذين يعيشون معهما تحت سقف واحد، من أولاد وخدم واتباع، لنلا يطلعوا على عوراتهما لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَلْفُؤْا الْحُلُمَ مِنْكُمْ

ثلاث مرّات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهر ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ﴿[النور: ٥٨].

- وما كانت المرأة بطبيعتها المغرمة بالإغراء، عاملة جاهدة في التطيب والتزين للرجل، فقد أوصى الإسلام الرجل أن يتزين ويتطيب لزوجته كما تفعل هي له؛ لحرص الإسلام على أن يقتصر إغراء الزوجة وجاذبيتها على زوجها، وأن يعاملها المعاملة نفسها ليمتنع تطوع كل منهما إلى غير رفيقه.

- والحكمة نفسها البالغة أوصى الرجل إذا عاد من سفر ألا يطرق أهله ليلاً؛ حتى يلقاها وهي عالمة به متهيئة له ومشوطة الشعر نظيفة الثغر.

- وقريب من هذا الأدب الذي يعمل على تقوية رباط العلاقة الزوجية ويبقى وداها أن الرجل إذا رأى من امرأة أخرى لا تحل له ما يعجبه، ويكاد يفتن بها... عليه أن يفرغ من فوره إلى أهله ليلتمس عندها ما تمناه من تلك، وإنه لو وجد المبتغى نفسه، وصدق النبي ﷺ في قوله (فإن معها مثل الذي معها)، وبهذا تحتمى الأسرة من الخيانات الزوجية التي تهدم البيوت وتلوث الأعراس.

- كما ركز الإسلام على إشباع هذه الغريزة وحذر المرأة من التسويف أو التمتع قال الرسول ﷺ: (إذا دعا أحدكم امرأته إلى فراشه فلم تأتّه فبات وهو عليها ساخط، لعنتها الملائكة حتى تصبح) [رواه البخاري ومسلم]

وقال ﷺ: (المرأة لا تؤدى حق الله عليه حتى تؤدى حق زوجها كله ولو سأها، وهى على ظهر قتب لم تمنعه نفسها) [رواه الطبرانى] ذلك لأن قضية إحسان الرجل وإبعاده عن الفتنة أهم من كل عمل تقوم به المرأة.

- والعلاقة الجنسية بين الزوجين فى الإسلام، تسبقها وتمهد لها مداعبات لطيفة، وملاعبات رقيقة، وأقوال جميلة تثير فى الزوجين مشاعر الحب والسعادة. وكان الرسول ﷺ ينصح أصحابه رضوان الله عليهم بمداعبة زوجاتهم قبل الممارسة الجنسية. ويذكر عن جابر بن عبدالله قال: (نهى الرسول ﷺ عن الموافعة قبل الملاعبة) [ابن قيم الجوزية، الطب النبوى، ٢٣٤]. وقد سبق الرسول ﷺ أصحابه إلى مداعبة زوجاته قبل موافعتهن لما لهذا العامل من أثر كبير فى حصول الإشباع الجنسى لكل الزوجين وحدوث الاستقرار فى الحياة الزوجية.

كما أن العلاقة الجنسية فى الإسلام اتسمت بطابع فريد جداً يظهر من خلال الدعاء قبل الجماع، والمداعبة، والزام كل من الزوجين بالفصل بعد الجماع، فلجده يضع ضوابط لهذه العملية بحيث تخدم جوانب عديدة فى شخصية كل من الزوجين مثل: النظافة، والطمهارة، والتعلق بالله حتى فى هذا الموقف؛ مما يجعل هذا العامل من أقوى أسباب التوافق الزوجى.

- ومن آداب الأسرة أن يقول الرجل لزوجته إذا فعلت خيراً: أحسنت. كما كان النبى ﷺ يقول لزوجته: (أحسنت يا عائشة)، هذا مما ينمى مفهوم الاحترام وهو من المفاهيم الأساسية فى العلاقات الزوجية، وأن يتبادل الزوجان التعاون على البر والتقوى.. فى الحديث: (رحم الله رجلاً قام

من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبيت نضح في وجهها الماء ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء) .

- ولكي تتوثق الأواصر بين الأسر المتزوجة، أوصى الله تعالى بصلة الأرحام بمعنى التزاور والتعاطف والبر يقوم به الزوج تجاه أهله وأهل زوجته، ويقوم به الزوجة تجاه أهلها وأهل زوجها، وما أوفر الثمرات التي تأتي بها صلة الرحم فإنها كما جاء في الحديث: (محبية في الأهل، مثرأة في المال، منسأة في الأثر) .

- ومن آداب الأسرة المصلحة ألا تأذن المرأة لأحد في بيت زوجها وهو كاره، ولا تخرج وهو كاره، وألا تتحدث عند الناس ولا يتحدث الرجل أيضاً عما يفضى كل منهما إلى رفيقه من عورات. ولعل خلاصة هذه الآداب نذكر قول الرسول ﷺ: (خياركم خياركم لأهله) وقوله (من أفسد امرأة على زوجها فليس منا) مما يؤكد حرص الإسلام على حماية الأمرة وتحقيق التوافق في أجوائها.. كل هذه الممارسات تعمل على تقوية العلاقات الزوجية وترفع نسبة التوافق الزواجي في الأسرة؛ بحيث تنمى أهم مفاهيمها الأساسية مثل الحب، والاحترام، والانتماء، والتعاون، التفاهم، الصداقة...

٢. التوكل على الله بعد الأخذ بالأسباب

لا بد أن تفكرن كل تلك الآليات بالنية الخالصة، ثم التوكل على الله في جميع الأمور التي تخص الزواج والأسرة، وسؤاله التوفيق والمعاودة والهداية

لتحقيق التوافق الزوجي؛ لقول الرسول ﷺ عن عمرين الخطاب رضي الله عنه: (لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خصاصاً وتروح بطناً) [رواه أحمد وابن ماجه والترمذي] والرزق هنا شامل لكل ما يحتاجه الإنسان سواء كان رزقاً مادياً أو معنوياً. وقال ﷺ: (اعقلها وتوكل) [الترمذي]. فالتركز مفهوم أساسي في العقيدة الإسلامية وهو النافع المحرك للعمل وهو سبب هداية الله لتعبده وتسيده في العمل لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ٢١٥٩].

٢. الدعاء وسؤال الله التوفيق والسداد،

إن الدعاء سلاحٌ يجهل أثره كثير من الناس.. إلا أن الله سبحانه وتعالى جعله بيد المؤمنين يتجأون له به في كل وقت وحين، وقد حذر الله سبحانه وتعالى عباده من إهمال الدعاء كما جعله معياراً لمحبته سبحانه قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [شافر: ١٦٠]. وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٨٦]. فالدعاء نوعان: دعاء عبادة، ودعاء مسألة. والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمحونة والتوفيق. فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله وعده بالإجابة وخصوصاً إذا أتى بأسباب الإجابة وهي الاستجابة لله تعالى، والانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية، والإيمان به، الموجب للاستجابة فلها

قال: (فليستجيبوا لى تعلمهم يرشدون) أى: يحصل لهم الرشد، الذى هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويحول عنهم البقى المنافى للإيمان والأعمال الصالحة.

وقد علم الرسول ﷺ أمته كثيراً من الأدعية والأذكار لكل أعمال الإنسان وأفعاله سواء فى يقظته أو عند منامه، ومن الأذكار والأدعية التى علمها الرسول ﷺ لأمته عند إقدام الرجل على الزواج فقال ﷺ: (إذا تزوج أحدكم امرأة فليقل: (اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه) [رواه أبو داود وابن ماجه ٢/٢٤٨، ١/٦١٧].

وقد جعل من سننه ﷺ الدعاء للمتزوج بقوله: (بارك الله لك وبارك عليك، وجمع بينكما فى خير) [رواه البخارى ٧/١٢٥] وقد سن الرسول ﷺ الدعاء فى كثير من السلوكيات الزوجية العامة والخاصة، ومنها دعاء دخول الخلاء والخروج منه ودعاء دخول المنزل والخروج منه، ودعاء الركوب، ودعاء النوم، ودعاء الاستيقاظ.... ولعل أهمها الدعاء قبل الجماع وهو قوله ﷺ: (بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقنا) [البخارى، ١/١٤١] والالتزام بهذه الأدعية فى جميع الممارسات السابقة سيكون سبباً فى الهداية والتوافق من الله سبحانه وتعالى.